

معرفة الحقوق في الشهر الأعظم



إنَّنا في هذا الشهر المبارك العظيم - شهر رمضان - نتعرِّف إلى ما علينا من حقوقٍ، وما لنا من حقوقٍ، وأيِّ حقٍّ أعظم من حقِّ الله تعالى علينا؟!

إنَّ رسالة الحياة في الحقِّ، هي رسالة الإمام عليٍّ بن الحسين زين العابدين (ع): «رسالة الحقوق»، فيها كلُّ الحقوق: من حقِّ الله تعالى عليك، إلى حقِّ أنفسنا علينا، إلى حقِّ أقلِّ إنسانٍ معنا.

إنَّ الإطلاقة في رجب شهر الله الأعظم على هذه الرسالة الحقوقية، ممَّا يُرشدنا ويُهذِّبنا ويعلِّمنا، ويزكِّي أنفسنا، ويسمو بروحنا لتتكمَّل في المجتمع من خلال هذه الحقوق التي فرضها الله علينا وأعطانا إيَّاهَا، لأنَّ هذا الشهر المبارك هو شهر الحقِّ والتغيير والثورة على الفكر الباطل، والنفس الأمَّارة بالسوء، والمشاعر الخبيثة، والأخلاق الفاسدة، والمعاملات الباطلة، والمواقف الخاطئة، حتى نخرج من شهر الله - ورسالة حقوق وليِّ الله - ونحن في سلامةٍ من عقولنا وقلوبنا وحياتنا وأعمارنا، وفي رضى من ربِّنا.

فالأهميّة تكمن في كيفية حصولنا على محبّة الله، ورضاه، وكيف نستطيع قطع هذه الحياة بحسب الشوط الذي جُعلَ لنا من فسحة العمر المُقدَّر، حتى إذا وصلنا إلى الله، نصلُ بقلبٍ سليمٍ مُطمئنٍّ، وروحية إيمانية تقوائية، لأنَّ الله تعالى لا يضيّع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَتَنَظُرُوا نَفْسُ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنَسَاهُمُ أَنْزَفَسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر/ 18-19). وهم أصحاب الحقّ والمسؤولية والحركة والعمل الذي يراه الله ورسوله ويحمدُهُ الناس، فالخلق كلّهم عيال الله، وأحبّهم إليه، أنفعهم لعياله.

إنَّ الإنسان النفعيّ الخيّر المصلح، الذي اتّقى وآمن بالله ورسوله، على كتفيه تبعات المسؤولية، وهو المنطلق في رحاب الله مغيّراً وداعيةً وقدوة.

حقّ وواجب

يشعر الإنسان في مسيرة حياته الإنسانية كلّها بأنّه محاطٌ بشبكةٍ من الحقوق، فكلُّ شيءٍ في داخل جسده ومواقع أفعاله، وفي ما يحيط به في مجتمعه ممّن له علاقة به، له حقٌّ عليه لابدّ أن يقوم به، كما أنّّه يملك حقوقاً على الناس من حوله. فالإنسان في الحياة له حقٌّ وعليه واجب، ولا يدّعي إنسانٌ امتلاكه للحقّ دون أن يكون للآخرين حقٌّ عليه. فالنبيُّ يملك حقّ الطاعة على الناس، ولهم حقٌّ أن يُعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم، ويتلو عليهم آيات الله، فالمسؤول فردٌ في دائرة المسؤوليات العامّة، فله حقٌّ وعليه واجب.

إنَّ الفكرة التي يجب أن تعيش في وجداننا الإنساني الإسلامي، أنّّه ليس لأحدٍ أن يتصوّر نفسه مُحَقَّلاً مطلقاً مهما بلغت درجته، ومهما كان كبيراً. فلقد ربط الله تعالى الواقع الإنساني كلّ.. واقع الإنسان في نفسه، وواقعه مع الإنسان الآخر، بشبكةٍ من الحقوق، حيث يتحرّك الإنسان في علاقته مع أخيه الإنسان وفق دراسة ما الحقّ المفروض له؟ وما الحقّ الواجب عليه؟ وهو ما يمنع الإنسان من أن يعيش الأنانية التي تأتي من تصوّره أنّ حقّه على الآخرين مقدّسٌ وواجبٌ وليس للآخرين حقٌّ عليه. ولهذا، بيّن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) من خلال رسالة حقوقه، حقّ كلّ فردٍ في الحياة، وركز الحقوق العامّة والخاصّة في كلّ ما أراده الله تعالى وفرضه.

وانطلاقاً من ملخّص الإمام زين العابدين (ع) للحقوق، يقول ممّا رُوِيَ عنه في كتاب (تُحف العقول):
«اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أنّ عليك حقوقاً مُحِيطَةً بك في كلّ حركة تحرّكتَها، أو سَكَدْتَ

سَكَنَتْهَا، أَوْ مَنَزَلَةً نَزَلَتْهَا، أَوْ جَارِحَةً فَلَبَّيْتُهَا - والجوارحُ الأعضاء - وآلةٌ تَصْرِفُتَ بها، بعضُها أكبرُ من بعضٍ»، فحين خلقك الله، خلقك مسؤولاً أن تؤدِّي هذه الحقوق، باعتبار أنك عبدٌ لله وعلى أن تنفذها وتقوم بها، في ما تتحرَّك به حين الحركة، وفي ما تكفُّ عن الحركة به حينما تسكن وتهدأ، وفي كلِّ منزلةٍ تنزل بها في هذا الموقع أو غيره، وفي كلِّ تقليد لجوارحك وأعضائك، وفي ما تتصرَّف به من الآلات التي تنوصِّل بها إلى مقاصدك، حيث تشعر بعظيم ما فرضه الله عليك من حقٍّ في كلِّ جوانب حياتك، ومفاصل هذه الحياة، وتشعر بأَنَّك محاصرٌ بالمسؤولية الحقوقية في الكلمة والحركة والسَّكَنَة والموقف، بحيث تشعر من خلال الأشياء التي تتصرَّف فيها في كلِّ أعضائك، بأنَّ هناك حقًّا يجب على الإنسان أن يعرفه وينطلق من خلاله.

حقُّ النفس

«وأَكْبَرُ حقوقِ الله عليك، ما أوجبهُ لنفسه تبارك وتعالى من حقِّه الذي هو أصلُ الحقوق، ومنه تفرَّع، ثمَّ أوجبهُ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلافِ جوارحك». فهذا الجسد الإنساني الذي يمثِّلُ وجودك وإنسانيتك، قد جعل الله عليك حقًّا فيه لكلِّ عضوٍ من أعضائك، والتي تمثِّلُ العناصر الحيَّة في إدارتك لحياتك، حيث إنَّك مسؤولٌ أمامها، كما لو كانت هذه الأعضاء شخصاً حياً يطالبك بحقوقه عليك.

«فَجَعَلَ لِبَصْرِكَ عليك حقًّا - والبصرُ سوف يطالبك بهذا الحقَّ يوم الحقِّ - وليسَمِعَكَ عليك حقًّا، وليسَانَكَ عليك حقًّا، وليدِّيك عليك حقًّا، وليرجلك عليك حقًّا، وليبطنك عليك حقًّا، وليفَرجك عليك حقًّا، فهذه الجوارحُ السَّبعُ - يُعبِّرُ عادة عن الأعضاء الإنسانية بالجوارح، وهو ما ورد في دعاء كميل: «فَوِّرْ على خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي، واشدُّدْ على العزيمة جَوَانِحِي»، أي قوِّرْ على خدمتك أعضاء الإنسانية التي وهبني إيَّاه يا ربَّ - التي بها تكونُ الأفعالُ». فالإنسان يتحرَّك من خلال أفعاله؛ إنَّه يُبَصِّرُ بالأشياء، ويسمع بها، ويتحدَّث ويتكلَّم من خلالها، ويستودع ما يحتاجه من غذاءٍ وما يفوته في حياته.

«ثمَّ جعلَ عزَّ وجلَّ لأفعالِكَ عليك حقوقاً»، فلقد كلَّفنا الله بأفعالٍ وأعمالٍ لها حقٌّ علينا في كيفية إدارتها، فأنت كإنسانٍ مسؤول ومطالب به، «فَجَعَلَ لِمَلَاتِكَ عليك حقًّا» - كيف تكونُ ملاتك؟! «ولِمَومِكَ عليك حقًّا» كيف يكونُ صومك؟! «ولِمَدَقَّتِكَ عليك حقًّا» حين تتصدَّقُ، «ولِهَدْيِكَ»، والهَدْي ما يقدِّم في الحجِّ، «عليك حقًّا»، ولأفعالِكَ عليك حقًّا».

«ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك»، فيأتي حق الناس الذين تدمل حياتك بحياتهم، ومسؤوليتك بمسؤوليتهم. «وأوجبها عليك حقوق أئمتك» الأئمة الذين فرض الله عليك طاعتهم، وفي خط الأئمة، العلماء الذين يتميزون بالاجتهاد والعدالة، مما فرض الله عليك إطاعتهم في خط طاعة الله.

«ثم حقوق رعيّتك»، إذا كنت مسؤولاً عن الناس في موقع عام أو خاص، وسواء في الموقع العالي من الدرجة الكبرى في خط المسؤولية أو أدناه.

«ثم حقوق رسلك». فإرضاؤك لهم حق عليك وواجب يتعلق بصلة الأرحام.

حقوق متشعبة

«فهذه حقوق يتشعب منها حقوق: فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حق سائسك بالسُّلطان - أي الراعي لك من خلال السلطة - ثم سائسك بالعلم - السائس الذي يعلمك، لأن الجاهل رعية العالم، وليس رعية السلطة، فهم رعية العلم يعيشون تحت المسؤولية العلمية. وحق رعيّتك بالملك»، من خلال التعاقد بين الأزواج وما ملكت الأيمان لهما كان في السابق والآن، كالعَمَّال الذين يملك المسؤول عملهم.

«وحقوق رسلك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرسول في القرابة، فأوجبها عليك حق أمك، ثم حق أبك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك ثم الأقرب فالأقرب» من العم والخال، والأول فالأول، ثم حق مولاك المُنعم عليك - من أنعم عليك بنعمة - ثم حق مولاك الجارية نعمة عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذّنك بالصلاة - وهو يملك حقاً على كل المصلين والمؤمنين - ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليستك - من تجالسه وتحادثه وتحاوره - ثم حق جارك، ثم حق صاحبك - الذي تصاحبه في ذهابك وإيابك - ثم حق شريكك - الذي تشاركه في المعاملات التجارية والمالية - ثم حق مالك - الذي إن ملكته صار إنفاقه واجباً في ما أمر الله من موارد الإنفاق - ثم حق غريمك الذي تطالبه - وله دين عليك - ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، فلا تمارس كل سلطتك ومزاجك في ما لك من حق.

«ثمَّ حقٌّ مُستَشِيرِك - الذي يطلبُ منك المشورة في الرأي الذي يُمكنك أن تبدي رأيك فيه - ثمَّ حقٌّ المُشير عليك - وهو الذي يرشدُك ويشير عليك بالرأي - ثمَّ حقٌّ مُستَنصَحِك - وهو الشخص الذي يطلب منك النصيحة في الأمر - ثمَّ حقٌّ الناصح لك، ثمَّ حقٌّ مَنْ هو أكبرُ منك - وهو حقٌّ إنساني اجتماعي، حقٌّ الكبير على الصغير - ثمَّ حقٌّ مَنْ هو أصغرُ منك - وهو ما يعني حقٌّ الصغير على الكبير - ثمَّ حقٌّ سائلِك - الذي يوجِّه السؤال إليك ليتعرَّف الجواب منك - ثمَّ حقٌّ مَنْ سألتهُ، ثمَّ حقٌّ مَنْ جرى لك على يدَيه مَساءةٌ بقول أو فعل أو مَسَرَّةٌ بذلك بقول أو فعل عن تَعَمُّدٍ منه أو غير تَعَمُّدٍ منه، ثمَّ حقٌّ أهلِ مِلَّتِكَ حقٌّ المسلمين عليك - ثمَّ حقٌّ أهلِ الذمَّة - من غير المسلمين عليك، والذين بينك وبينهم عهدٌ وعقدٌ - ثمَّ الحقوقُ الجاريةُ بقدرِ عِلل الأحوال وتَمَصُّفِ الأسباب».

«فطُوبى لِمَنْ أعانَه اللهُ على قضاءِ ما أوجبَ عليه من حقوقِه - ووَفَّقَه اللهُ وسَدَّدَ دَهرَهُ»، لأنَّه يكون قد عاش الحياة وقد أدَّى لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وقدم على الله سبحانه وتعالى مطيعاً له، ملتزماً بأوامره ونواهيه.